المبحث الرابع
معاشرته لأزواجه

المطلب الأول: تعريف المعاشرة

● **لغة**[١]: المراد بالعشرة هي: المخالطة، تقول:عاشرته معاشرة واعتشروا وتعاشروا أي: تخالطوا، وعشيرة الرجل بنو أبيه الأدنون،وقيل:هم القبيلة كما قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[٢] والجمع عشائر، وعشير المرأة زوجها.

يقول ﷺ (**وتكفرن العشير**)[٣] لأنه يعاشرها و تعاشره كالصديق والمصادق وهي عشيرته لأنها تعاشره ويعاشرها وهو فعيل من العشرة أي: الصحبة.

● **اصطلاحاً** :وهي المراد بها في هذا المطلب: المخالطة والمصاحبة بين الزوجين بالمعروف، والخلق الحسن كما قال تعالى ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[٤].

ويؤيده قول الإمام الغزالي رحمه الله في وصفه للمعاشرة الحقيقة بين الزوجين اقتداءً بالنبي ﷺ في معاشرته لأزواجه: (حسن الخلق معهن واحتمال الأذى

---

[١] مادة (عشر) لسان العرب، ج٤: ص٥٧٤ مختار الصحاح، ج١:ص١٨٢، المعجم الوسيط، ج٢:ص٦٠٢ النهاية، ج٣:ص٢٤٠.

[٢] سورة الشعراء: ٢١٤.

[٣] صحيح البخاري، ج٢:ص٥٣١ كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، صحيح مسلم، ج١:ص٨٦ كتاب الإيمان، باب نقصان الإيمان بنقصان الطاعات.

[٤] سورة النساء: ١٩.

منهن، ترحماً عليهن لقصور عقلهن، وأعلم أنه ليس حسن الخلق معها كف الأذى عنها بل احتمال الأذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتداءً برسول الله (ﷺ)[١].

والباحث في الحياة الزوجية للنبي (ﷺ) يجد أنها تطبيق عملي دقيق لقوله تعالى﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أجل إن كل حياة الرسول (ﷺ) زوجاً وكل شؤونه انطلقت من هذه الآية التي تعد أساساً يرجع إليه في شؤون الحياة الزوجية[٢].

ولنتأمل ما قاله أهل العلم من المفسرين وغيرهم في فهمهم لهذه الوصية القرآنية ثم لننظر إلى التطبيق العملي في حياة النبي (ﷺ) الزوجية في ظل هذه الآية.

المطلب الثاني: وصية الله عز وجل لأهل الإسلام ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾

- يقول البيضاوي رحمه الله: (أي بالإنصاف في الفعل والإجمال في القول)[٣].

- ويقول القرطبي رحمه الله: (أي على ما أمر الله به من حسن المعاشرة والخطاب للجميع ولكن المراد بهذا الأمر في الأغلب الأزواج وذلك توفية حقها من المهر والنفقة، وألا يعبس في وجهها بغير ذنب وأن يكون منطلقاً في القول لا فظاً ولا غليظاً ولا مظهراً ميلاً إلى غيرها، فأمر الله سبحانه بحسن صحبة النساء

---

[١] إحياء علوم الدين، ج٢/ص٤٢.

[٢] الأساليب النبوية للدكتور عبد السميع الأنيس ، ص١٧.

[٣] تفسير البيضاوي، ج٢:ص١٦٣.

إذا عقدوا عليهن لتكون أدمة ما بينهم وصحبتهم على الكمال فإنه أهدأ للنفس وأهنأ للعيش وهذا واجب على الزوج، وقال بعضهم: هو أن يتصنع لها كما تتصنع له (أي: يتجمل) قال يحيى بن عبد الرحمن الحنظلي: أتيت محمد بن الحنفية فخرج إلي في ملحفة حمراء ولحيته تقطر من الغالية فقلت: ما هذا قال: إن هذه الملحفة ألقتها علي امرأتي ودهنتني بالطيب وإنهن يشتهين منا ما نشتهيه منهن، وقال ابن عباس ﴿رضي الله عنه﴾: إني أحب أن أتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين المرأة لي)[١].

● ويقول ابن كثير رحمه الله: (طيبوا أقوالكم لهن ،وحسنوا أفعالكم و هيآتكم بحسب قدرتكم، كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله وكان من أخلاقه ﴿ﷺ﴾ أنه جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقة، ويضاحك نساءه)[٢].

● ويقول الطبري رحمه الله: (أي: وخالقوا أيها الرجال نساءكم، وصاحبوهن بالمعروف يعني بما أمرتم به من المصاحبة)[٣].

● ويقول أبو السعود رحمه الله: (خطاب للذين يسيئون العشرة معهن والمعروف ما لا ينكره الشرع والمروءة، والمراد ههنا النِّصفة في المبيت ،والنفقة، والإجمال في المقال، ونحو ذلك)[٤].

---

[١] تفسير القرطبي، ج٥:ص٩٧.
[٢] تفسير ابن كثير، ج١:ص٤٦٧.
[٣] تفسير الطبري، ج٤:ص٣١٢.
[٤] تفسير أبي السعود، ج٢:ص١٥٨.

● ويقول البغوي رحمه الله: (المعاشرة بالمعروف هي: الإجمال في القول، والمبيت، والنفقة، وقيل هي: أن يصنع لها كما تصنع له)[١].

● ويقول الشوكاني رحمه الله: (أي بما هو معروف في هذه الشريعة، وبين أهلها من حسن المعاشرة وهو خطاب للأزواج أو لما هو أعم وذلك يختلف باختلاف الأزواج في الغنى والفقر والرفاعة والوضاعة)[٢].

● ويقول السعدي رحمه الله: (يشمل المعاشرة القولية والفعلية، فعلى الزوج أن يعاشر زوجته بالمعروف من الصحبة الجميلة، وكف الأذى ،وبذل الإحسان، وحسن المعاملة، ويدخل في ذلك النفقة ،والكسوة ونحوهما، فيجب على الزوج لزوجته المعروف من مثله لمثلها في ذلك الزمان والمكان وهذا يتفاوت بتفاوت الأحوال)[٣].

فكل هذه الأقوال والتأويلات إذا تأملتها وجدتها تؤكد حسن العشرة بالمعروف ببذل الإحسان وكف اللسان عما لا يحسن ولا يليق والإنصاف في كل شأن من شؤون الحياة الزوجية لتطيب وتدوم تلك الحياة بعيدة عن مكدراتها .

ثم للننظر إلى حال النبي ﷺ في معاشرته لأزواجه كيف كانت وكيف سلك مسالكها لنقتدي به ولنقتفي أثره ولنهتدي بهديه، فقد كان من حسن معاشرته لأزواجه ﷺ أن سلك طرقاً عديدة في معاشرته لهن.

---

[١] تفسير البغوي، ج١:ص٤٠٩.

[٢] فتح القدير، ج١ ص٤٤١.

[٣] تفسير السعدي، ج١:ص١٧٢.

المطلب الثالث: طرق معاشرته ﷺ لأزواجه: وفيه عدة مسائل

المسألة الأولى: الوصية بالنساء

إن أي مؤمن في المجتمع المسلم لا يكتسب صفة الأفضلية ولا ينال شرف الخيرية بين المسلمين إلا بعد أن يتقن التعامل الجيد مع أهله،لأنها اللبنة الأولى في المجتمع، فإذا أحسن الفرد المسلم التعامل معها كان ذلك بمثابة الشهادة له بأنه مؤهل لأن يصبح عضواً نافعاً في المجتمع المسلم[١]، وإلى هذا كانت وصية النبي ﷺ في حسن المعاشرة لأهل البيت وخصوصاً الزوجة التي هي عشيرة الزوج.

عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ:(خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)[٢].

● يقول المباركفوري (خيركم لعياله وذوي رحمه، وقيل لأزواجه وأقاربه، وذلك لدلالته على حسن الخلق (**وأنا خيركم لأهلي**) فأنا خيركم مطلقاً، وكان أحسن الناس عشرة لهم، وكان على خلق عظيم)[٣].

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (استوصوا بالنساء)[٤]وفي رواية (واستوصوا بالنساء خيراً)[٥].

يقول ابن حجر:(استوصوا قيل معناه: تواصوا بهن وقال الطيبي: أي اطلبوا الوصية من أنفسكم في حقهن أو اطلبوا الوصية من غيركم بهن، والوصية

---

[١] الأساليب النبوية ص١٧.

[٢] سبق تخريجه .

[٣] تحفة الأحوذي ، ج١٠ ص ٢٦٩.

[٤] سبق تخريجه.

[٥] المرجع السابق، ج٥: ص١٩٨٧كتاب النكاح، باب الوصاية بالنساء.

بالنساء آكد لضعفهن، واحتياجهن إلى من يقوم بأمرهن، وقيل معناه أقبلوا وصيتي فيهن واعملوا بها، وارفقوا بهن، وأحسنوا عشرتهن، قلت وهذا أوجه الأوجه في نظري)[1].

وهذا من كمال هديه ﷺ وحسن معاشرته ورحمته بنساء أمته أن انطلقت هذه الوصية للرجال لتستقيم الحياة الزوجية، وليكون المجتمع المسلم مترابطاً متخلقاً بأعالي أخلاق النبي الكريم ﷺ فما أعظمها من وصية.

بل لم تقف وصيته بنسائه في حال حياته بل امتدت حتى بعد مماته.

فعن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقول: (إن أمركن مما يهمني بعدي ولن يصبر عليكن إلا الصابرون) قالت عائشة رضي الله عنها: (فسقى الله أباك من سلسبيل الجنة: تريد عبد الرحمن بن عوف، وكان قد وصل أزواج النبي ﷺ بما يقال يبعث بأربعين ألفاً)[2].

وهذا من جميل خلق عبد الرحمن بن عوف ﷺ أن عمل بوصية النبي ﷺ وحرص على أزواجه من بعده بالنفقة عليهن مع ما كن فيه من الحاجة والرضا واختيار الدار الآخرة على الدنيا لما خيرن بينهما.

المسألة الثانية: تفقده ﷺ لأزواجه

لقد كان النبي ﷺ شديد الحرص على أزواجه فكان في كل يوم يتفقدهن جميعاً ويجالسهن، ويلاطفهن في بيت صاحبة النوبة، وهذا الذي سار عليه النبي

---

[1] فتح الباري، ج٦ص ٣٦٨.

[2] سنن الترمذي، ج٥: ص٦٤٨ كتاب المناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف ﷺ قال الشيخ الألباني: حسن، مسند أحمد بن حنبل، ج٦: ص٧٧ قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

﴿ﷺ﴾ منهج ارتسمه لأزواجه في دخوله عليهن وتفقده لحاجاتهن، وذلك لطول الفترة التي قد تكون بسبب القسم بين تسع نسوة.

● **فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ إذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من إحداهن...)**[1].

ودنوه من نساءه بالتقبيل وغيره، وهذا من جميل العِشرة حيث تأنس الزوجة من زوجها بقربه ودنوه، فتطمئن نفسها ويزداد حبها لزوجها، وهذا من كمال عشرته ﴿ﷺ﴾ حيث كان يطوف على جميع نسائه كل يوم.

وإذا تأملنا أحوال المسلمين اليوم رأينا الجهل في فقه التعامل بين الزوجين، وهي تقوم إما على الثقافة الغربية في تسلط المرأة وتمردها على الزواج وعرضها نفسها كالند داخل البيت يُفقده الإدارة المنظمة وعلى عكس ذلك في الجانب الأخر، ثقافة النظرة الدونية للمرأة في المجتمعات البدائية التي تعامل المرأة على أساس الأعراف التي توارثوها فيعاملونها بدونية وانحطاط، ويسلبونها كل حقوقها مما كان له أثره السيئ في تكوين الأسرة، ولقد أثر هذا على جانب مهم من الأحكام الشرعية وهو جانب التعدد فإن كثيراً من المعددين لا يكلفون أنفسهم معرفة الأحكام الشرعية والهدي النبوي في معاملة الزوجات والتعامل معهن، والرأفة بهن، والقيام بحقوقهن، مما كان له أثر في ثوران الغيرة بين النساء وازدياد المشاكل وتحويل البيوت والأسر إلى بؤر للشر والطعن في قضية شرعية وانتقاصها، وهي قضية التعدد، ولو وعى الجميع واجباتهم، ونشرة ثقافة

---

[1] صحيح البخاري، ج٥: ص٢٠٠٠كتاب النكاح، باب دخول الرجل على نسائه في اليوم.

الواجبات في التعدد لما تضررت هذه الظاهرة في المجتمع المسلم ولما أدى إلى الجفاء في البيوت.

عن أنس بن مالك ﴿رضي الله عنه﴾ قال: (كان للنبي ﴿ﷺ﴾ تسع نسوة، فكان إذا قسم بينهن لا ينتهي إلى المرأة الأولى إلا في تسع فكن يجتمعن كل ليلة في بيت التي يأتيها..)[١]، في هذا الحديث يبين لنا أنس بن مالك ﴿رضي الله عنه﴾ كيف كان النبي ﴿ﷺ﴾ مع أزواجه كل ليلة حيث كان يجتمعن في بيت صاحبة النوبة وهذا برضاهن جميعاً، لأن نساء النبي ﴿ﷺ﴾ كن تسع فيطول ويبعد رؤيتها للنبي ﴿ﷺ﴾ في كل تسع أيام مرة واحدة فكن يجتمعن كل ليلة،وهذا قمة في التفقد وتلمس الحاجات، ليبقى الود والمحبة بين الزوجين.

بل لم يكن لينسى أزواجه بعد زواجه بأخرى، حتى في ذلك اليوم الذي تزوج فيه، ولننظر إلى وصف أنس بن مالك ﴿رضي الله عنه﴾ كيف فعل النبي ﴿ﷺ﴾، وكيف كانت إجابة أزواجه له.

عن أنس بن مالك ﴿رضي الله عنه﴾ قال: (أَوْلَمَ رسول الله ﴿ﷺ﴾ حين بنى بزينب بنت جحش رضي الله عنها فأشبع الناس خبزاً ولحماً، ثم خرج إلى حجر أمهات المؤمنين كما كان يصنع صبيحة بنائه فيسلم عليهن ويسلمن عليه، ويدعو لهن ويدعون له..)[٢].

---

[١] صحيح مسلم، ج٢ص١٠٨٤ كتاب الرضاع، باب القسم بين الزوجات.

[٢] صحيح البخاري، ج٤: ص١٨٠٠ كتاب التفسير، باب قوله تعالى{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ}.

من فوائد هذا الحديث[١]

١/قمة الملاطفة لأزواجه ﴿ﷺ﴾ حيث لم تُنسه العروسُ الجديدةُ أزواجَهُ الأوائل.

٢/دليل محبة من جهة الزوج والزوجة فلا هو جفاهن، ولا هن جفونه، ودعون عليه وعلى عروسه.

٣/اطمئنان الزوج على زوجته لأن تلك الليلة قد ينالها شيء من جراء غيرها.

المسألة الثالثة: الوفاء والذكر الجميل

لقد كان النبي ﴿ﷺ﴾ أصدق الناس وفاءً، وأحرص الناس حفظاً للحقوق، ويتبين ذلك في مواقفه في حفظ الوفاء لخديجة بنت خويلد رضي الله عنها الزوجة الأولى، والتي كانت أكبر معين للنبي ﴿ﷺ﴾ في حياته وفي دعوته فلما ماتت لم يكن لينسى لها تلك العشرة والحياة الطيبة، تجلى ذلك في مواقف تبرهن صدق محبته لها ووفاءه بحقها فمن ذلك:

١/ كثرة ذكرها بالعقل والخير والثناء عليها

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ذكر رسول الله ﴿ﷺ﴾ إياها...)[٢].

يقول ابن حجر في شرحه للحديث: (وأصل غيرة المرأة من تخيل محبة غيرها أكثر منها، وكثرة الذكر تدل على كثرة المحبة. وقال القرطبي: مرادها بالذكر لها مدحها والثناء عليها)[١].

---

[١] فن تعامل النبي ﴿ﷺ﴾ في الحياة الزوجية: لأديب الكمداني، ص٩٢.

[٢] صحيح البخاري، ج٣:ص١٣٨٩ كتاب فضائل الصحابة، باب تزويج النبي ﴿ﷺ﴾ خديجة وفضلها رضي الله عنها.

٢/ الهدية والصلة عنها

عن عائشة رضي الله عنها قالت (..وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة...)[٢].

للعلاقات بين أفراد الأسر وإقامة الصداقات في المجتمع فوائد كثيرة توحي وتؤثر في التعامل وتبني مجتمعاً متماسكاً، ويكثر البر، ويظهر التعاون بين أفراده، والتناصر، والتواد، وهي من الظواهر الأخلاقية التي وضعها الإسلام، وقد حث عليها نبينا محمد ﴿ﷺ﴾ وقد كان يبر صديقات زوجته المتوفية بعد وفاتها من باب الإحسان إليها، وهذا مظهر من مظاهر علم الاجتماع التربوي الذي ينبغي أن يدركه الدعاة والمربون، وقد جاءت الأحاديث تدل على بر أصدقاء الوالدين والإحسان إليهم بعد موتهما كل ذلك محافظة على المظاهر الاجتماعية الفاضلة.

٣/فرحه بمن يُذَكِره صوتها وبمن كانت تحبها

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ﴿ﷺ﴾، فعرف استئذان خديجة، فارتاع لذلك فقال: اللهم هالة، قالت: فغرت، فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر قد أبدلك الله خيراً منها)[٣].

---

[١] فتح الباري، ج٧ ص١٣٦.

[٢] صحيح البخاري، ج٣:ص١٣٨٩ كتاب فضائل الصحابة، باب تزويج النبي ﴿ﷺ﴾ خديجة وفضلها رضي الله عنها.

[٣] المرجع السابق، ج٣ص١٣٨٩.

٤/الدفاع عنها وبيان سبب محبتها

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (فأغضبته يوما فقلت: خديجة فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾: إني قد رزقت حبها)[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (..فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة، فيقول: إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد)[٢].

وفي رواية للإمام أحمد: وضح فيها النبي ﴿ﷺ﴾ سبب هذا الحب لها فقال (قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذا حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء)[٣].

يقول ابن حجر رحمه الله: (وفيه دليل على عظم قدرها عنده، وعلى مزيد فضلها لأنها أغنته عن غيرها، واختصت به بقدر ما اشترك فيه غيرها مرتين لأنه ﴿ﷺ﴾ عاش بعد أن تزوجها ثمانية وثلاثين عاماً انفردت خديجة منها بخمسة وعشرين عاما، وهي نحو الثلثين من المجموع، ومع طول المدة فقد صان قلبها فيها من الغيرة ومن نكد الضرائر الذي ربما حصل له هو منه ما يشوش عليه بذلك، وهي فضيلة لم يشاركها فيها غيرها، ومما اختصت به سبقها نساء هذه الأمة إلى الإيمان)[٤].

وقال النووي: (في هذه الأحاديث دلالة لحسن العهد، وحفظ الود، ورعاية حرمة الصاحب والمعاشر حياً وميتاً، وإكرام معارف ذلك الصاحب)[٥].

---

[١] صحيح مسلم ، ج٤ ص١٨٨٨ كتاب فضائل الصحابة ،باب فضائل أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها.

[٢] صحيح البخاري، ج٣: ص١٣٨٩ كتاب فضائل الصحابة ،باب تزويج النبي ﴿ﷺ﴾ خديجة وفضلها رضي الله عنها.

[٣] مسند أحمد بن حنبل، ج٦: ص١١٧ قال الشيخ شعيب الأرناؤوط :حديث صحيح، وهذا سند حسن في المتابعات.

[٤] فتح الباري ، ج٧ ص١٣٧.

[٥] شرح النووي على مسلم ،ج١٥ ص ٢٠٢.

المسألة الرابعة: مراعاة الطبائع والصفات البشرية

١/العمر

لقد كان النبي ﴿ﷺ﴾ يراعي حال أزواجه، وذلك بفهمه للطبيعة البشرية فيتنزل إلى درجات عقولهن ليكون الأسوة والقدوة لأمته وقد تبين ذلك في مراعاته لحال سن عائشة رضي الله عنها حيث تزوجها وهي صغيرة تحب ما يحبه الصغار، وتهفو نفسها إلى كل ما تتعلق به الطفولة من لعب وعرائس وما شابهها، ولم يغب ذلك عن النبي ﴿ﷺ﴾ بل أشبع رغبتها في ذلك بمواقف تبين صدق فهمه ومراعاته لهذه الطبيعة:

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كنت ألعب بالبنات عند النبي ﴿ﷺ﴾، وكان لي صواحب يلعبن معي فكان رسول الله ﴿ﷺ﴾ إذا دخل يتقمعن منه فيسربهن إلي فيلعبن معي)[1].

- **وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (قدم رسول الله ﴿ﷺ﴾ من غزوة تبوك أو خيبر وفي سهوتها[2] ستر، فَهبَّتْ ريحٌ فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لُعَب فقال: ما هذا يا عائشة؟ قالت: بناتي، ورأى بينهن فَرَساً له جناحان من رقاع، فقال: ما هذا الذي أرى وسطهن؟ قالت: فرس، قال: وما هذا الذي عليه؟ قالت: جناحان، قال: فرس له جناحان، قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة، قالت: فضحك حتى رأيت نواجذه)**[3].

---

[1] صحيح البخاري، ج٥: ص٢٢٧٠كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس، (يتقمعن): أي أنهن يتغيبن منه ويدخلن من وراء الستر قوله (فيسر هن إلي): أي يرسلهن، فتح الباري، ج١٠ص٥٢٧.

[2] (سهوتها): شبه بالرف والطاق، عون المعبود، ج١٣ ص١٩٠.

[3] سنن أبي داود، ج٤:ص٢٨٣ كتاب الأدب، باب اللعب بالبنات قال الشيخ الألباني: صحيح.

وإذا تأملت هذه الأحاديث رأيت حسن معاشرة النبي ﴿ﷺ﴾ لعائشة رضي الله عنها ومعرفته لما تحتاجه حداثة سنها من اللُّعب وأهمية رعاية الخيال لديها، وغيرها.

بل ما هو أعجب من ذلك حين يسترها بردائه لترى الحبشة يلعبون بحرابهم.

● **عن عائشة رضي الله عنها قالت:(كان الحبش يلعبون بحرابهم فسترني رسول الله ﴿ﷺ﴾ وأنا أنظر فما زلت أنظر حتى كنت أنا أنصرف فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن تسمع اللهو)**[1].

هذا هو نبينا محمد ﴿ﷺ﴾ يضرب أروع الأمثلة في جميل العشرة وحسن الخلق، يقف على قدميه طويلاً ليستر زوجته بردائه ليفسح لها المجال لتشبع رغبتها وحاجتها في النظر لذلك المشهد، دون أن يمل أو يتضجر أو ينهرها حتى تكون هي التي تنصرف فما أحرانا أن نأتسي بالنبي الكريم عليه الصلاة السلام، في إشباع حاجة الطفولة إلى اللعب لأهمية ذلك في البناء النفسي والاجتماعي.

ولذا **قالت عائشة رضي الله عنها: (فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن تسمع اللهو)** لأنها عرفت ذلك حينما راعى النبي ﴿ﷺ﴾ حاجتها وهي في حداثة سنها.

وهذا توجيه دائم لمسئولي التربية للأطفال وخاصة رياض الأطفال، والحضانة، والحلقة الأولى من التعليم الأساسي لإعطاء أهمية كبيرة للتعليم من خلال اللعب.

٢/الغيرة

الغيرة من الصفات الجبلية التي جبل الله عليها الإنسان، وهي صفة محمودة إذا لم تتجاوز حدها من الإفراط فيها فتعمي وتثير الشكوك والظنون، ولذلك **يقول**

---

[1] صحيح البخاري، ج٥:ص١٩٩١ كتاب النكاح، باب حسن المعاشرة مع الأهل.

الرسول ﴿ﷺ﴾: (إن من الغيرة ما يحب الله عز وجل ومنها ما يبغض الله عز وجل، فأما الغيرة التي يحب الله عز وجل فالغيرة في الريبة وأما الغيرة التي يبغض الله عز وجل فالغيرة في غير ريبة..)[١].

معنى الغيرة

قال عياض رحمه الله في معنى الغيرة: الغيرة مشتقة من تغير القلب، وهيجان الغضب بسبب المشاركة فيما به الاختصاص وأشد ما يكون ذلك بين الزوجين.[٢]

ولقد راعى النبي ﴿ﷺ﴾ هذه الجبلة في مواقف مع أزواجه منها:

- **عن عائشة رضي الله عنها قالت:(ما غرت على امرأة للنبي ﴿ﷺ﴾ ما غرت على خديجة هلكت قبل أن يتزوجني ...)[٣].**
- **وعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﴿ﷺ﴾ أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ (خرج من عندها ليلاً قالت: فغرت عليه فجاء فرأى ما أصنع فقال: مالك يا عائشة؟ أغرت؟ فقلت: ومالي لا يغار مثلي على مثلك، فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾: أقد جاءك شيطانك، قالت: يا رسول الله أو معي شيطان؟ قال: نعم، قلت: ومع كل إنسان، قال: نعم، قلت: ومعك يا رسول الله؟ قال: نعم، ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم)[٤].**

---

[١] سنن النسائي، ج٥: ص٧٨ كتاب الزكاة باب الاختيال في الصدقة عن جابر رضي الله عنه قال الألباني: حسن.

[٢] عمدة القاري ج٢٠:ص٢٠٥.

[٣] سبق تخريجه.

[٤] صحيح مسلم، ج٤:ص٢١٦٨كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قرينا

●**وعن أنس ﴿رضي الله عنه﴾ أن النبي ﴿ﷺ﴾:(كان عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين مع خادم بقصعة فيها طعام فضربت بيدها فكسرت القصعة فضمها وجعل فيها الطعام، وقال: كلوا وحبس الرسول ﴿ﷺ﴾ (الخادم)، والقصعة حتى فرغوا فدفع القصعة الصحيحة وحبس المكسورة)**[١].

وفي رواية لأبي داوود: (قال الرسول ﴿ﷺ﴾: غارت أمكم..)[٢].

(قال الطيبي: الخطاب عام لكل من يسمع بهذه القصة من المؤمنين اعتذاراً منه ﴿ﷺ﴾ لئلا يحملوا صنيعها على ما يذم بل يجري على عادة الضرائر من الغريزة فإنها مركبة في نفس البشر بحيث لا تقدر أن تدفعها عن نفسها)[٣].

وكل هذه المواقف تبين كيف أن النبي ﴿ﷺ﴾ تقبل تلك الجبلة في نسائه و لم تدفعه إلا للتحمل والصبر وحسن الخلق معهن لا للغضب ومساوئ الأخلاق.

المسألة الخامسة: حسن الاستماع إلى الزوجة

من طبيعة المرأة محبتها لكثرة الحديث، وخصوصاً مع زوجها لتفضي له بما بداخلها من هموم وأفكار وأسرار ولذا هي بحاجة إلى من يتقبلها ويفتح لها صدره ليسعها وينصت لها.

وتزداد محبتها لمن يأخذ منها، وقد كان ذلك واضحاً في حياة النبي ﴿ﷺ﴾، يتبين من خلال هذا الحديث الذي كان النبي ﴿ﷺ﴾ يستمع لعائشة رضي الله عنها وهي تقوله.

---

[١] صحيح البخاري، ج٢: ص٨٧٧ كتاب المظالم باب إذا كسر قصعته أو شيئاً لغيره.

[٢] سنن أبي داود، ج٣:ص٢٩٧كتاب الإجارة باب فيمن أفسد شيئاً يغرم مثله قال الألباني: صحيح.

[٣] عون المعبود، ج٩ص٣٤٨.

● **عن عائشة رضي الله عنها قالت: جلس إحدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً ... قالت: عائشة، قال رسول الله (ﷺ): كنت لك كأبي زرع لأم زرع)**[1].

وكلام النبي (ﷺ) يبّين حسن استماعه إلى زوجته وهي تحدثه عن خبر وحديث هؤلاء النفر من النسوة في حديثهن عن أخبار أزواجهن.

المسألة السادسة: الأخذ بمشورتهن

لقد كان النبي (ﷺ) يحترم أزواجه ويشاورهن في أمور هي من أهم المهمات بل هي من القضايا الكبرى في حياته وفي دعوته بعيداً عن احتقارهن والتقليل من شأنهن.

وبياناً للمفهوم الصحيح **لقوله (ﷺ): (ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن ...)** وقد بين ما هو نقصان العقل وما هو نقصان الدين في تتمة الحديث (...**قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟ قلن: بلى، قال: فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟ قلن: بلى، قال: فذلك من نقصان دينها)**[2].

فلا يعني ذلك ضعفاً في عقولهن ولا التقليل من مشورتهن والأخذ برأيهن وقد تجلى ذلك في مواقف منها:

---

[1] صحيح البخاري، ج٥ص١٩٨٨ كتاب النكاح، باب حسن المعاشرة مع الأهل.

[2] صحيح البخاري، ج١: ص١١٦ كتاب الحيض باب، ترك الحائض الصوم.

١/في بداية نزول الوحي على النبي ﴿ﷺ﴾ رجع إلى بيته خائفاً يرجف فؤاده فطمنته خديجة رضي الله عنها، ولما اطمأن أشارت عليه بالذهاب إلى ابن عمها ورقة بن نوفل لما عنده من علم الكتاب.

عن عائشة زوج النبي ﴿ﷺ﴾ قالت:(كان أول ما بدئ به رسول الله ﴿ﷺ﴾ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه قال: والتحنث (التعبد الليالي ذوات العدد) قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: (اقرأ) فقال ﴿ﷺ﴾: ما أنا بقارئ قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: (أقرأ) قلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: (اقرأ) قلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1]فرجع بها رسول الله ﴿ﷺ﴾ ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: زملوني، زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع قال لخديجة: أي خديجة مالي، لقد خشيت على نفسي، فأخبرها الخبر، قالت خديجة: كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به

[1] سورة العلق:١-٥.

خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل وهو بن عم خديجة أخي أبيها وكان امرؤ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني ويكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت خديجة: يا بن عم اسمع من بن أخيك قال ورقة: يا بن أخي ماذا ترى فأخبره النبي ﴿ﷺ﴾ خبر ما رأى فقال: ورقة هذا الناموس الذي أنزل على موسى ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ :أو مخرجيَّ هم؟ قال ورقة: نعم لم يأت رجل بما جئت به إلا أوذي وإن يدركني يومك حياً أنصرك نصراً مؤزراً ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله ﴿ﷺ﴾)[1].

٢/في صلح الحديبية لما صالح النبي ﴿ﷺ﴾ قريشاً على أن لا يطوف بالبيت هذا العام، ويطوف من العام القادم وقد غم المسلمون غماً شديداً على ذلك فلما فرغ من كتابة الصلح أمر المسلمين بالحل والنحر فلم يجبه أحد فاشتد الأمر عليه ﴿ﷺ﴾ ودخل على زوجه أم سلمة رضي الله عنها فلما أخبرها أشارت عليه برأي سديد:

(...فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحرَ

[1] صحيح البخاري، ج١:ص٤كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء إلى الرسول ﴿ﷺ﴾.

بُدنك وتدعوَ حالقَك فيحلقَك فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بُدْنَه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً)[١].

وهذه الاستجابة من النبي ﴿ﷺ﴾ لمشورة أم سلمة رضي الله عنها لأي أمر من أمور الدولة دليل حسن عشرته التي يتقبل فيها مشورة زوجه لما رأى أنه عين المصلحة والصواب، وحقاً لقد كانت مشورة صائبة منها رضي الله عنها.

٣/وفي هذا الموقف تشير عليه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بأن يشتري له ثوباً آخر فيقبل منها ويبعث من يشتري له.

عن عائشة قالت: (كان على رسول الله ﴿ﷺ﴾ ثوبان قطريان غليظان فكان إذا قعد فعرق ثقلا عليه، فقدم بز من الشام لفلان اليهودي فقلت:لو بعثت إليه فاشتريت منه ثوبين إلى الميسرة فأرسل إليه فقال : قد علمت ما يريد إنما يريد أن يذهب بمالي أو بدراهمي فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾: كذب،قد علم أني من أتقاهم لله وآداهم للأمانة)[٢].

وهذه المواقف تدل على كمال معاشرته ﴿ﷺ﴾ على قبول مشورتهن في أمور مختلفة ومواقف متعددة لأكثر من زوج له ﴿ﷺ﴾.

---

[١] صحيح البخاري، ج٢ص٩٧٨كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط.

[٢] سنن الترمذي، ج٣: ص٥١٨ كتاب البيوع، باب ما جاء في الرخصة إلى أجل قال الترمذي: حسن غريب صحيح، قال الشيخ الألباني: صحيح (قال في النهاية (قطري)بكسر القاف ضرب من البرود فيه حمرة وله أعلام وفيه بعض خشونة (بز) هو ضرب من الثياب (إلى الميسرة) أي مؤجلا إلى وقت اليسر) تحفة الأحوذي، ج٤ ص٣٣٩.

المسألة السابعة: تقبله لهن على أنه زوج

لم تكن الرسالة للنبي ﴿ﷺ﴾ لتجعله بعيداً أن يعيش مع نسائه كما يعيش غيره من الأزواج على أنه زوج لهن، فما تفرضه عليه الرسالة من القيام بالدعوة والاهتمام بشؤون الأمة لم تكن لتصرف الطبيعة البشرية عن النبي ﴿ﷺ﴾، فما يكون بين الزوجين من أمور المعيشة والحياة الزوجية كانت تدور في حياته ﴿ﷺ﴾، فيتقبل من نسائه تعامله معهن وتصرفاتهن على أنهن أزواج له ﴿ﷺ﴾، ولذا كانت السيرة النبوية في الحياة الزوجية للرسول ﴿ﷺ﴾ حافلة بمواقف قد يصعب أن تكون إلا من أزواجه، ولننظر إلى هذا الموقف وكيف كان تعامل النبي ﴿ﷺ﴾ وكيف كانت ردود غيره من الصحابة رضوان الله عليهم .

عن عمر بن الخطاب ﴿رضي الله عنه﴾ قال: (... والله إن كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمراً حتى أنزل الله فيهن ما أنزل، وقسم لهن ما قسم قال: فبينا أنا في أمر أتأمره إذ قالت امرأتي: لو صنعت كذا وكذا قال: فقلت لها: ما لك ولما ها هنا فيما تكلفك في أمر أريده، فقالت لي: عجباً لك يا بن الخطاب ما تريد أن تُرَاجَع أنت؟ وإن ابنتك لتراجع رسول الله ﴿ﷺ﴾ حتى يظل يومه غضباناً، فقام عمر فأخذ رداءه مكانه حتى دخل على حفصة فقال لها: يا بنية إنك لتراجعين رسول الله ﴿ﷺ﴾ حتى يظل يومه غضباناً فقالت حفصة: والله إنا لنراجعه فقلت: تعلمين أني أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله ﴿ﷺ﴾. يا بنية لا تغرنك هذه التي أعجبها حسنها حب رسول الله ﴿ﷺ﴾ إياها يريد

عائشة قال: ثم خرجت حتى دخلت على أم سلمة لقرابتي منها فكلمتها فقالت: أم سلمة عجباً لك يا بن الخطاب دخلت في كل شيء حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله ﷺ وأزواجه فأخذتني والله أخذاً كسرتني عن بعض ما كنت أجد...)[١]، فلم يجعل الرسول ﷺ من هيبة النبوة سداً رادعاً بينه وبين نسائه، بل أنساهن برفقه وإيناسه أنهن يخاطبن رسول الله ﷺ في بعض الأحايين[٢].

ففي هذا الموقف يتجلى لنا ملامح الزوج التي ينبغي أن يكون عليها، وإن كان عمر ﷺ والصحابة الكرام يرون محمداً الرسول من عند الله، فإن أزواجه يرينه زوجاً لهن وقد رضي ﷺ بذلك.

فأين نحن من هذا السمو الأخلاقي، والتقبل الجبلي للطبائع البشرية فيمن قد يكون بلغ منزلة رفيعة في العلم أو المنصب فلا ينسى أن زوجه تنظر إليه على أنه زوج لها لا على ما بلغه من منزلة عالية في علم أو منصب أو غيره.

المسألة الثامنة: تحقيق مبدأ العدل بين أزواجه

يقول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾[٣].

●قال ابن مسعود ﷺ:(هذه أجمع آية في القرآن لخير يُمتثل ولشر يُجتنب)[٤].

---

[١] صحيح البخاري، ج٤/ص١٨٦٦كتاب التفسير-تفسير سورة التحريم-، باب تبتغي مرضاة أزواجك قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم - عن ابن عباس رضي الله عنهما.

[٢] عبقرية محمد لمحمود عباس العقاد ص١٤٥.

[٣] سورة النحل: ٩٠.

[٤] تفسير القرطبي، ج١٠:ص١٦٥.

●ويقول الإمام الشوكاني رحمه الله:(العدل بالمعنى اللغوي وهو التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، فمعنى أمره سبحانه بالعدل أن يكون عباده في الدين على حالة متوسطة، ليست بمائلة إلى جانب الإفراط وهو الغلو المذموم في الدين ولا إلى جانب التفريط وهو الإخلال بشيء مما هو من الدين، وأما الإحسان فمعناه اللغوي يرشد إلى أنه التفضل بما لم يجب)[١].

وإذا نظرنا إلى حياة النبي ﴿ﷺ﴾ وجدناها قد تحقق فيها هذه المعاني من العدل والإحسان، فقد كان بين نسائه ﴿ﷺ﴾ المرأة الشابة، والكبيرة، والجميلة، ومتوسطة الجمال والبكر، والأرملة، وذات العيال، ومع ذلك كله ما كان يصرفه شيء من هذه الميزات عن أن يعدل بينهن فيما هو قادر عليه من النفقة والكسوة والمبيت، وأما الميل القلبي (المحبة) فقد قال كثير من المفسرين في معنى قوله تعالى ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٢] أنه الحب القلبي.

وقد اعتذر ﴿ﷺ﴾ عنه فقال: (اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك)[٣].

---

[١] فتح القدير ، ج٣: ص١٨٨.

[٢] سورة النساء: ١٢٩.

[٣] سنن أبي داود، ج٢: ص٢٤٢ كتاب النكاح، باب القسم بين النساء قال الشيخ الألباني: ضعيف، سنن الدارمي، ج٢: ص١٩٣ قال محقق الكتاب الشيخ حسين أسد: إسناده صحيح. المستدرك على الصحيحين، ج٢: ص٢٠٤ قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه قال الذهبي في التلخيص: على شرط مسلم.

ومن الأمثلة على عدله بين أزواجه ﴿ﷺ﴾:

١/عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه)[١].

وهذا دليل عدله أن لا يميل إلى أحداهن فيتكرر سفرها معه، بل يعدل بأن يقرع بينهن، وبذلك يرضين جميعاً لمن خرجت عليها القرعة، فتسافر مع النبي ﴿ﷺ﴾.

٢/وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها غير أن سودة بنت زمعة وهبت يومها وليلتها لعائشة زوج النبي ﴿ﷺ﴾ تبتغي بذلك رضا رسول الله ﴿ﷺ﴾)[٢].

وهذا من العدل الواجب، وهو القسم في المبيت لكل واحدة يوم وليلته دون أن يكون لأحدهن أكثر من غيرها عدا عائشة، فكانت لها ليلتين ليلتها وليلة وهبتها لها سودة بنت زمعة رضي الله عنها.

٣/وعن أنس بن مالك ﴿رضي الله عنه﴾ قال:(كان للنبي ﴿ﷺ﴾ تسع نسوة فكان إذا قسم بينهن لا ينتهي إلى المرأة الأولى إلا في تسع، فكن يجتمعن كل ليلة في بيت التي يأتيها...)[٣].

٤/وعن عائشة رضي الله عنها: (أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه يقول: أين أنا غداً؟ أين أنا غداً؟ يريد يوم عائشة، فأذن

---

[١] صحيح البخاري، ج٢: ص٩١٦كتاب الهبة، باب هبة المرأة لغير زوجها وعتقها إذا كان لها زوج فهو جائز إذا لم تكن سفيهة فإذا كانت سفيهة لم يجز قال الله تعالى {ولا تؤتوا السفهاء أموالكم}.

[٢] المرجع السابق، ج٢ص٩١٦.

[٣] سبق تخريجه .

له أزواجه أن يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها قالت عائشة: فمات في اليوم الذي كان يدور علي فيه في بيتي فقبضه الله...)[١].

وهذا الحديث يبين مدى صدق عدله ﴿ﷺ﴾ حتى في مرضه لم ينسى العدل بين أزواجه حتى أذنت له جميع أزواجه أن يمرّض في بيت عائشة رضي الله عنهن جميعاً.

المسألة التاسعة: التحبب والتودد إلى أزواجه

لقد بلغ النبي ﴿ﷺ﴾ مبلغاً عالياً مع أزواجه من لطفه معهن وتوده إليهن وحسن عشرته لهن تحار منه العقول وتشرئب له النفوس، لتسموَ بسموه، وترتقيَ بعلوه، في لغة من الحياة الزوجية السامية، أذكر طرفاً من هذه الأخبار فيما هو من أدق الأمور في الحياة الزوجية الكريمة للنبي ﴿ﷺ﴾، ليسير الأزواج بسيره، وليهتدوا بهديه.

١/ تقبيله لأزواجه ﴿ﷺ﴾

لقد كانت حياة النبي ﴿ﷺ﴾ مع أزواجه حياةً ماتعة مراعية للغريزة والفطرة البشرية، فقد كان النبي ﴿ﷺ﴾ يقبِّل نساءه على أحوال كثيرة، فتجد بها صدق حبه ومودتَه لها ومن الأمثلة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت (كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقبلني وهو صائم وأنا صائمة)[٢]**، وفي رواية للإمام أحمد (قالت: أهوى إليَّ رسول الله**

---

[١] صحيح البخاري، ج٤:ص١٦١٧كتاب المغازي، باب مرض النبي ﴿ﷺ﴾ ووفاته.

[٢] سنن أبي داود ، ج٢: ص٣١١كتاب الصوم، باب القبلة للصائم قال الشيخ الألباني : صحيح.

﴿ﷺ﴾ ليقبلني فقلت: إني صائمة قال: وأنا صائم قالت: فأهوى إلي فقبلني)[١].

والمتأمل في هذه الأحاديث يدرك محبة النبي ﴿ﷺ﴾ لأزواجه حتى وإن كان صائماً فلا يمنع من تقبيل زوجه، ولم يكن هذا التقبيل خاصاً بعائشة بل لكل أزواجه ﴿ﷺ﴾.

عن عائشة أنها قالت كان النبي ﴿ﷺ﴾ ينال من وجوهنا وهو صائم)[٢]، **وفي رواية الإمام أحمد (..كان ينال شيئاً من وجوهنا)**[٣]

وإذا نظرت إلى كلمة (وجوهنا) فإنك تدرك أنه لم يكن ذلك خاصاً بالتقبيل فحسب بل يمتد إلى غيره كما تروي **ذلك عائشة رضي الله عنها (كان يقبلني النبي ﴿ﷺ﴾ وهو صائم ويمص لسانها)**[٤].

٢/تتبع مواضع فم الزوجة في الطعام والشراب

فمن قمة المعاشرة للنبي ﴿ﷺ﴾ مع أزواجه أن يتودد إليها ليكسب حبها وتوددها إليه بتصرف يسير، لكن له معاني عالية ورفيعة بتتبعه لمواضع شربها وأكلها، ثم يأكل ويشرب من نفس الموضع.

---

[١] مسند أحمد بن حنبل، ج٦: ص١٣٤قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري.

[٢] مسند أبي يعلى، ج٨: ص٣٦قال الشيخ حسين أسد: إسناده صحيح.

[٣] مسند أحمد بن حنبل، ج٦: ص٢٤٢قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: صحيح.

[٤] سنن أبي داود، ج٢ ص٣١١كتاب الصوام، باب الصائم يبتلع الريق قال الشيخ الألباني: ضعيف، مسند أحمد بن حنبل، ج٦: ص١٢٣، صحيح ابن خزيمة، ج٣: ص٢٤٦، سنن البيهقي الكبرى، ج٤: ص٢٣٤.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كنت أشرب وأنا حائض ثم أناوله النبي (ﷺ) فيضع فاه على موضع فيّ فيشرب وأتعرق العرق[١] وأنا حائض ثم أناوله النبي (ﷺ) فيضع فاه على موضع فيّ)[٢].

٣/ الغسل سوية من إناء واحد

١/عن عائشة رضي الله عنها قالت:(كنت أغتسل أنا والنبي (ﷺ) من إناء واحد)[٣].

وهذه ميمونة رضي الله عنها تحكي لنا مثل ذلك، كما يروي عنها ابن عباس (رضي الله عنهما).

٢/فعن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن النبي (ﷺ) وميمونة كانا يغتسلان من إناء واحد)[٤].

ومن جمال وروعة وحسن معاشرته لأزواجه وقت الغسل، إن يكون بينهما من الأُنس والدعابة ما يكسب الآخر حبه ومودته، فأنظر إلى هذا الموقف الرائع منه (ﷺ).

٣/عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كنت أغتسل أنا والنبي (ﷺ) من إناء واحد تختلف أيدينا فيه)[٥].

---

[١] أتعرق العرق: (وهو بفتح العين وسكون الراء، العظم إذا أخذ منه معظم اللحم وجمعه عراق وهو جمع نادر يقال عرقت اللحم وأعرقته وتعرقته إذا أخذت عنه اللحم بأسنانك) حاشية السيوطي على سنن النسائي،ج١ ص ٥٦.

[٢] صحيح مسلم، ج١:ص٢٤٥ كتاب الحيض، باب الاضطجاع مع الحائض في لحاف واحد.

[٣] سبق تخريجه.

[٤] صحيح البخاري ج ١ ص ١٠٠، كتاب الغسل – باب الغسل بالصاع ونحوه.

[٥] صحيح البخاري، ج١: ص١٠٣ كتاب الحيض، باب هل يدخل الجنب يده في الإناء قبل أن يغسلها.

وفي رواية للنسائي (كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد يبادرني وأبادره حتى يقول: دعي لي وأقول أنا: دع لي. قال سويد يبادرني وأبادره فأقول: دع لي، دع لي)[١].

٤/ معاشرته ومباشرته للحائض

فقد كان النبي ﷺ يضاجع أزواجه وإن كانت من يضاجعها حائضاً، وهذا من مراعاة تلك الفطرة التي جبلت عليها المرأة من الحيض والنفاس.

فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: بينا أنا مع النبي ﷺ مضطجعة في خميصة إذ حضت فانسللت فأخذت ثياب حيضتي قال: أنفست قلت: نعم، فدعاني فاضطجعت معه في الخميلة)[٢].

وعن ميمونة رضي الله عنها قالت (كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه أمرها فاتزرت وهي حائض)[٣].

بل كان يخالف اليهود في هجرهم للحائض فكان يؤاكلها ويشاربها ويضاجعها ويتحدث معها ويحث على ذلك بقوله وفعله ﷺ.

عن أنس بن مالك ﷺ: (أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ النبي ﷺ فأنزل الله تعالى ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ

---

[١] سنن النسائي ج١: ص١٣٠ كتاب الطهارة، باب الرخصة في الاغتسال بفضل الجنب قال الشيخ الألباني: صحيح.

[٢] صحيح البخاري، ج١: ص١١٥ كتاب الحيض، باب مباشرة الحائض.

[٣] المرجع السابق، ج ١ ص ١١٥.

﴿ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[١] إلى آخر الآية فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾: اصنعوا كل شيء إلا النكاح فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه)[٢].

ومن مخالفته لهم كما تروي عائشة رضي الله عنها ما يكون بينها وبين النبي ﴿ﷺ﴾ وهي حائض، كما تقدم من أنه كان ﴿ﷺ﴾ يضع فاه في موضع ومحل شربها من الإناء وفي العظم من وضع فاه في محل فيها من العظم.

وعن عمارة بن غراب أن عمة له حدثته أنها سألت عائشة رضي الله عنها قالت: (إحدانا تحيض وليس لها ولزوجها إلا فراش واحد قالت: أخبرك بما صنع رسول الله ﴿ﷺ﴾ دخل فمضى إلى مسجده، قال أبو داود :(تعني مسجد بيته) فلم ينصرف حتى غلبتني عيني وأوجعه البرد،فقال: ادني مني، فقلت: إني حائض، فقال: وإنْ، اكشفي عن فخذيك فكشفت فخذي فوضع خده وصدره على فخذي، وحنيت عليه حتى دفئ ونام)[٣].

المسألة العاشرة: مؤانسته بالحديث معهن

لقد كان النبي ﴿ﷺ﴾ يؤانس أزواجه بالحديث معهن في أوقات متفرقة على صفات مختلفة، فقبل ذهابه لصلاة الفجر تبين عائشة رضي الله عنها حاله معها:

---

[١] سورة البقرة:٢٢٢.

[٢] صحيح مسلم، ج١: ص٢٤٦ كتاب الحيض، باب الاضطجاع مع الحائض في لحاف واحد.

[٣] سنن أبي داود، ج١: ص٧٠كتاب الطهارة ، باب في الرجل يصيب منها من دون الجماع، قال الشيخ الألباني: ضعيف كما في ضعيف الأدب المفرد للبخاري ج١ص٥٥، والحديث وان كان ضعيفاً إلا أن شواهد أحواله ﴿ﷺ﴾ تشهد له.

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ: (كان إذا صلى فإن كنت مستيقظة حدثني وإلا اضطجع حتى يؤذن بالصلاة)[١].

وعند النوم على الفراش في وقت قد تكون النفس قد كلت من تعب النهار:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (بت عند خالتي ميمونة رضي الله عنها فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد...)[٢].

وفي كل يوم مع كل واحدة من أزواجه:

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: (كان للنبي ﷺ تسع نسوة، فكان إذا قسم بينهن لا ينتهي إلى المرأة الأولى إلا في تسع، فكن يجتمعن كل ليلة في بيت التي يأتيها...)[٣].

كل ذلك تطييباً لنفوسهن وتلبية لحاجاتهن الفطرية لتزداد علاقتهن به ومودتهن ومحبتهن له في حياة زوجية كريمة.

المسألة الحادية عشر: التصريح بالحب

من أقوى مثبتات العشرة الزوجية أن يصرح الزوج لزوجه بحبه لها وقد صرح النبي ﷺ بحبه لبعض أزواجه فمن ذلك:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (...فأغضبته يوماً فقلت: خديجة فقال رسول الله ﷺ: إني قد رزقت حبها)[٤].

---

[١] صحيح البخاري، ج١: ص٣٨٩ كتاب الكسوف، باب من تحدث بعد الركعتين ولم يضطجع.

[٢] صحيح البخاري، ج٤: ص١٦٦٥ كتاب التفسير، باب{إن في خلق السماوات والأرض واختلاف}.

[٣] سبق تخريجه .

[٤] سبق تخريجه .

وهذا بعد وفاة خديجة رضي الله عنها مازال يذكرها ويصرح بحبه لها، وقد كانت عائشة رضي الله عنها قد سبقت نساءه بحبه لها يتبين ذلك في مواقف منها:

عن عمرو بن العاص ﴿رضي الله عنه﴾ أن النبي ﴿ﷺ﴾ بعثه على جيش ذات السلاسل قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك قال: عائشة...)[١].

وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تحكي لابن أختها عروة بن الزبير ﴿رضي الله عنه﴾ (...وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله ﴿ﷺ﴾ عائشة...)[٢].

وقد صرح عمر ﴿رضي الله عنه﴾ بتلك الحقيقة التي كانت معروفة بين المسلمين.

عن ابن عباس رضي الله عنهما(أن عمر بن الخطاب ﴿رضي الله عنه﴾ دخل على حفصة رضي الله عنها فقال: يا بنية لا يغرنك هذه التي أعجبها حسنها، وحب رسول الله ﴿ﷺ﴾ إياها، يريد عائشة فقصصت على رسول الله ﴿ﷺ﴾ فتبسم)[٣].

المسألة الثانية عشر: تجمله وتطيبه لأزواجه

كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ من أجمل الناس ومن أحرصهم على التجمل والتطيب، ولا عجب فهو **القائل ﴿ﷺ﴾ (إن الله جميل يحب الجمال)**[٤].

---

[١] سبق تخريجه.

[٢] سبق تخريجه.

[٣] سبق تخريجه.

[٤] صحيح مسلم، ج١:ص٩٣كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه.

ولقد رسم لنا رسول الله ﷺ صورة رائعة في حرص المسلم على بدنه بالنظافة والتجمل والتطيب في أمثلة تدل على سمو أخلاقه ﷺ، ولذا يقول ابن حجر العسقلاني رحمه الله: (إن الإنسان إذا بدا في الهيئة الجميلة كان أدعى لانبساط النفس إليه، فيقبل قوله، ويحمد رأيه، والعكس بالعكس)[١].

أ)حرصه على نظافة بدنه

لقد كان النبي ﷺ حريصاً على نظافة بدنه يتبين ذلك من عدة أمور:

١/ حرصه على الوضوء

والذي هو عنوان طهارة هذه الأمة يقول الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾[٢].

وكان كثير الحث والحرص على الوضوء .

فعن أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال: رسول الله ﷺ: (الطهور شطر الإيمان..)[٣].

٢/غسل الجمعة

عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: (الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم)[١].

---

[١] فتح الباري، ج١٠ص٣٣٩ .

[٢] سورة المائدة:٦.

[٣] صحيح مسلم، ج١:ص٢٠٣كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء.

وهذا من كمال النظافة والطهارة، وما حَثُه عليه إلا دليل حرصه عليه ﴿ﷺ﴾.

٣/السواك ونظافة أسنانه

فمن المعلوم أن تناول الطعام قد يبقي بين الأسنان شيءً منه وبقاءه قد يسبب تعفناً أو خراباً للأسنان وكلاهما يسبب خروج رائحة من الفم يكرهها الإنسان.

والمتأمل في سيرة النبي ﴿ﷺ﴾ يتبين له شدة عنايته بهذا الجانب فعلاً وقولاً فمن ذلك :

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﴿ﷺ﴾ قال: (السواك مطهرة للفم مرضاة للرب)[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كنا نعد لرسول الله ﴿ﷺ﴾ سواكه وطهوره، فيبعثه الله عز وجل لما شاء أن يبعثه من الليل فيستاك ويتوضأ ويصلي..)[٣].

حتى في آخر حياته ﴿ﷺ﴾ تحكي لنا عائشة رضي الله عنها حرصه على السواك فتقول:

(دخل عبد الرحمن بن أبي بكر على النبي ﴿ﷺ﴾ وأنا مسندته إلى صدري، ومع عبد الرحمن سواك رطب يستن به، فأبدّه رسول الله ﴿ﷺ﴾ بصره، فأخذت السواك فقضمته ونفضته وطيبته، ثم دفعته إلى النبي ﴿ﷺ﴾ فاستن به،

---

[١] صحيح البخاري، ج١ص٢٩٣كتاب صفة الصلاة، باب وضوء الصبيان ومتى يجب عليهم الغسل والطهور وحضورهم الجماعة والعيدين والجنائز وصفوفهم.

[٢] سنن النسائي، ج١: ص١٠كتاب الطهارة، باب الترغيب في السواك قال الشيخ الألباني: صحيح.

[٣] سنن النسائي، ج٣: ص٢٤١ كتاب قيام الليل وتطوع النهار باب كيف الوتر بتسع قال الشيخ الألباني: صحيح.

فما رأيت رسول الله ﴿ﷺ﴾ استن استناناً قط أحسن منه، فما عدا أن فرغ رسول الله ﴿ﷺ﴾ رفع يده أو إصبعه ثم قال في الرفيق الأعلى ثلاثا ثم قضى)[١].

ب) لباسه ﴿ﷺ﴾

كان النبي ﴿ﷺ﴾ يتحرى الجمال في ثياب، وكان ينوع في لبس ثيابه تجملاً وتحسناً فمن ذلك.

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: (رأيت النبي ﴿ﷺ﴾ في حلة حمراء، لم أر شيئاً قط أحسن منه...)[٢].

وعن أنس بن مالك ﴿رضي الله عنه﴾ قال:(كان أحب الثياب إلى النبي ﴿ﷺ﴾ أن يلبسها الحبرة)[٣].

ومعنى حبرة[٤]:

- قال ابن بطال: هي من برود اليمن تصنع من قطن، وكانت أشرف الثياب عندهم.
- وقال القرطبي: سميت حبرة لأنها تحبر، أي تزين والتحبير التزيين والتحسين.

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت:(كان أحب الثياب إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ القميص)[٥].

وكل هذا يدل على جماله وحسن معشره بحسن اللباس الذي يجعل من يراه يرتاح ويسر برؤيته.

---

[١] صحيح البخاري، ج٤: ص١٦١٣ كتاب المغازي ،باب مرض النبي ﴿ﷺ﴾ ووفاته.

[٢] صحيح البخاري ، ج٣: ص١٣٠٣ كتاب المناقب ، باب صفة النبي ﴿ﷺ﴾.

[٣] صحيح البخاري، ج٥ص٢١٨٩ كتاب اللباس، باب البرود والحبرة والشملة.

[٤] فتح الباري، ج١٠ ص٢٢٧.

[٥] سنن أبي داود، ج٤: ص٤٣ كتاب اللباس، باب ما جاء في القميص ،قال الشيخ الألباني: صحيح.

ج)تطيب النبي ﷺ

كان النبي ﷺ شديد الحب للطيب وكان يكثر منه **وكان يقول: (حبب إلي من الدنيا النساء والطيب..)**[١].

وقد حث النبي ﷺ على قبول الطيب وعدم رده.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (من عرض عليه ريحان فلا يرده، فإنه خفيف المحمل طيب الريح)[٢].

وفي رواية لأبي داوود عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (من عرض عليه طيب فلا يرده فإنه طيب الريح خفيف المحمل)[٣].

وتصف عائشة رضي الله عنها تطييبها للنبي ﷺ حتى عند الإحرام (كنت أطيب رسول الله ﷺ فيطوف على نسائه ثم يصبح محرما ينضخ طيباً)[٤].

وفي رواية (كنت أطيب النبي ﷺ بأطيب ما يجد حتى أجد وبيص الطيب في رأسه ولحيته)[٥].

ولا عجب أن تسمع من يصف طيب النبي ﷺ بأنه أحسن الطيب، وما ذاك إلا لحرصه عليه وقطعاً أنه سيكون له نصيب في حياته الزوجية.

---

[١] سنن النسائي، ج٧: ص٦١ كتاب عشرة النساء، باب حب النساء قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

[٢] صحيح مسلم، ج٤: ص١٧٦٦كتاب الألفاظ من الأدب، باب استعمال المسك وأنه أطيب الطيب وكراهة رد الريحان والطيب.

[٣] سنن أبي داود، ج٤: ص٧٨كتاب الترجل، باب في رد الطيب قال الشيخ الألباني: صحيح.

[٤] صحيح البخاري، ج١ص١٠٤كتاب الغسل، باب إذا جامع ثم عاد ومن دار على نسائه في غسل واحد.

[٥] المرجع السابق ج٥: ص٢٢١٤كتاب اللباس باب الطيب في الرأس واللحية.

عن أنس ﴿رضي الله عنه﴾ قال: (.. ولا شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول الله ﴿ﷺ﴾)[١].

د) تسريحه لشعره

كان النبي ﴿ﷺ﴾ له شعر طويل كما **قال أنس بن مالك ﴿رضي الله عنه﴾:(كان يضرب شعره منكبيه)**[٢].

أي يصل إلى منكبيه من طوله، وقد كان شديد الاهتمام بترجيله وتسريحه .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﴿ﷺ﴾ (يعجبه التيمن في تنعله وترجله وطهوره، وفي شأنه كله)[٣].

وكانت عائشة رضي الله عنها تسرح شعر النبي ﴿ﷺ﴾.

عن عائشة رضي الله عنها (أنها كانت ترجل تعني رأس رسول الله ﴿ﷺ﴾ وهي حائض، ورسول الله ﴿ﷺ﴾ حينئذ مجاور في المسجد يدني لها رأسه، وهي في حجرتها فترجله وهي حائض)[٤].

وهذا دليل عنايته بشعره ومظهره ﴿ﷺ﴾ حتى في أوقات العبادة.

يقول ابن بطال:

---

[١] صحيح مسلم، ج٤: ص١٨١٥ كتاب الفضائل باب طيب رائحة النبي ﴿ﷺ﴾ ولين مسه والتبرك بمسحه.

[٢] صحيح البخاري ، ج٥: ص٢٢١١ كتاب اللباس، باب الجعد.

[٣] المرجع السابق، ج١: ص٧٤ كتاب الوضوء، باب التيمن في الوضوء والغسل.

[٤] المرجع السابق، ج١: ص١١٤ كتاب الحيض، باب غسل الحائض رأس زوجها وترجيله.

obeikandl.com

(الترجيل تسريح شعر الرأس واللحية ودهنه، وهو من النظافة وقد ندب الشرع إليها قال الله تعالى﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾[1])[2].

---

[1] سورة الأعراف: ٣١.

[2] فتح الباري، ج١٠ص٣٦٨.

obeikandl.com